الإهداء

إلى النسمات .... الزهرات... الورود...

التى أضاءت حياتى .....

إلى أكبادنا التى تمشى على الأرض

إلى زينة الحياة الدنيا ...

محمد – سلمى – جنى

أهدى هذا العمل .

مقدمة

الحمد لله على ما أولانا به من الآلاء والنعم ، حمداً يوجب لنا بلوغ الرضى ، وصلاة وسلاما على الحبيب المصطفى ، صلاة موصولة بالوصول مقرونة بالقبول ، دائمة الأمد وافرة العدد ، ما أشرق الضياء ، ودامت الأرض والسماء ..... وبعد :

فإن كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم الظاهرى ، والذى لم نعثر منه إلا على شذرات قليلة يعتبر من أهم الكتب التى صنفت فى الفكر السياسى الإسلامى ، بل وأكثرها تأثيرا فى الحضارة الإسلامية ، لا سيما إذا علمنا أن الماوردى – الذى يعد عمدة كتاب الفكر السياسى الإسلامى – استفاد من كتاب ابن حزم حال تدوينه لكتابه الشهير الأحكام السلطانية فى غير ما موضع . دون أن يشير إليه.

على أية حال فإن شذرات كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم على قلتها تفتح آفاقا جديدة للباحثين فى التراث الإسلامى والحضارى بصفة عامة ، وفى تراث ابن حزم بصفة خاصة ، ورغم أن هذه النتف أو الشذرات نشرت من قبل بمعرفة العلامة الكتانى تحت مسمى " بين يدى شذرات من كتاب السياسة بمجلة تطوان عدد (5) سنة1960م ص95-107 . كما نشرها شيخنا ابن عقيل الظاهرى فى كتابه نوادر الإمام ابن حزم مرة نقلا عن ما نشره الكتانى ، ومرة بالقسم الثانى من خلال مخطوط فى السياسة لمجهول ، فضلا عن أن أحد أصحابنا من أهل الظاهر جمع هذه الشذرات تحت مسمى قطوف من كتاب السياسة للإمام ابن حزم الأندلسى ، ونشرها على دارة أهل الظاهر القديمة التى أغلقت منذ بضع سنين ، وكان تعويله فى قطوفه على الشهب اللامعة في السياسة النافعة لأبي القاسم ابن رضوان المالقي ،وبدائع السِّلك في طبائع المُلك لأبى عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي، ونوادر الإمام ابن حزم لشيخنا ابن عقيل الظاهرى ، القسم الثانى ، ولم يطلع على الشذرات التى نشرها العلامة الكتانى ، ورغم نشرهذه الشذرات أو النتف أو القطوف مراراً كما سبق فإنها كانت فى حاجة لإعادة نشر من جديد فى إطار إظهار أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى الحضارة الإسلامية ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : أننا اكتشفنا أن الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية نقل نقلا مباشرا وحرفيا من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فيما يخص واجبات الخليفة . كما سبق وأن أشرنا ، وكما سنبينه فى موضعه من هذه الدراسة ، ولم يشرإلى ابن حزم ، وهو ما يعتبر كشفا علميا جديدا إذ ربما نقف على نصوص جديدة تضم لاحقا لهذه النتف التى ننشرها حاليا ، وذلك بالمقارنة بين أسلوب ابن حزم ، وأسلوب الماوردى.

أضف إلى ذلك أن كتاب الأحكام السلطانية للفراء تأثر صاحبه بالماوردى فى كل شىء حتى فى الاسم ، ولم يختلف عنه إلا فى المعالجة المذهبية لما يحتاج للتأصيل الفقهى والمذهبى . إذ إن الماوردى عول على مذهبه الشافعى ، فى حين أن الفراء عول على مذهبه الحنبلى ؛ وإذا كان الماوردى قد استفاد من كتاب ابن حزم " الإمامة والسياسة" ونقل عنه نقلا مباشرا ، فإن الفراء الذى استفاد من الماوردى يكون هو الآخر أحد من تأثر بابن حزم ، وهو ما يحتاج منا ومن غيرنا أن نجليه ونبينه من خلال وقفات متأنية .

ثانيا : أن هذه الشذرات فى حاجة لتحقيق وتقديم تاريخى يربط بينها وبين خطط الدولة الإسلامية فى المشرق والمغرب بدءً من خطة الخلافة وانتهاءً بأصغر خطة من خطط الدولة ليتضح منهج ابن حزم وأثره فضلا عن مشروعه النهضوى الذى كان يهدف من ورائه – بكتابه الإمامة والسياسة وغيره من مصنفاتة– أن تنهض الدولة الإسلامية وتعود إلى ريادتها وعظمتها بتحديد المهام لكل صاحب منصب وسلطة.

ثالثا : أن هدفنا من إعادة النشر هذه المرة يرتبط أكثر بإظهار أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى الحضارة الإسلامية ، منه من نشر النصوص وحدها كما سبق فى المرات السابقة.

رابعا : أن هذه الشذرات التى نشرت من كتاب الإمامة والسياسة تعطينا صورة رائعة عن الولايات الدينية فى الدولة الإسلامية لا سيما فى الغرب الإسلامى ، وهو ما يتضح من خلال منظرى الفكر السياسى الإسلامى الذين اعتمدوا على كتاب ابن حزم من المغاربة والمشارقة عى السواء ، وهو ما دعانا لأن ندرس كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى إطار أثره فى الحضارة الإسلامية .

خامسا : أن هذه الشذرات تؤكد لنا أن الكتاب الأصلى الذى صنفه ابن حزم ، كان خاصاً بخطط الدولة الإسلامية وولاياتها الدينية ، ومن ثم فنحن نميل إلى أن اسم هذا الكتاب الأصلى ليس السياسة كما ذكر جل من نشر شذراته ، وإنما هو : " الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها" (1) ، وأما ما ذكره ابن حزم فى تقريبه حول كتاب السياسة (2) ، فيأتى فى سياق التدبير ، لا سيما وأنه ذكره حال حديثه عن تمييز النفس ومنفعة العقل، وهو ما أشار إليه ابن عباد الرندي فى رسائله الصغرى ، ونقل منه شيئاً في أحوال النفس الإنسانية بشأن الأفعال (3) ، ومن ثم كان لزاما علينا أن نبين ذلك للقارىء الكريم ، ونؤكد على أن هذه النتف والشذرات إنما هى من كتاب الإمامة والسياسة ، وليست من كتاب السياسة الذى أشار إليه ابن حزم فى تقريبه ، ونقل عنه ابن عباد الرندى كما سبق .

سادسا : أن كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى حاجة لأن يدرس فى إطار دراسة مصادر الفكر السياسى الإسلامى السابقة واللاحقة له . ليتضح بجلاء التأثير والتاثر ، فضلا عن موقعه من فروع الفكر السياسى الإسلامى الثلاثة . هل هو من الكتب التى اعتمدت على الفكر والفلسفة اليونانية والفارسية فى الحكم ككتابى الأدب الصغير والكبير لابن المقفى ، وككتابات الفارابى وابن سينا ؟ أم أنه من المصنفات التى خلطت بين الاستدلال بالكتاب والسنة ، وبين حكم ومواعظ اليونان والفرس فيما عرف بمصنفات المواعظ ؛ كقوانين الوزارة ، وتسهيل النظر للماوردى ، وكسراج الملوك للطرطوشى ؟ أم أنه من المؤلفات التى تمثل أصالة الفقه السياسى الإسلامى ككتاب الأحكام السلطانية للماوردى ، ومثله للفراء ، وتحرير الأحكام لابن جماعة ؟.

---

1 ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1399هـ/1979م ، القسم الأول ،143/1 ؛ وانظر : المقرى : نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1/ 365.

2 أنظر : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1987، رسائل ابن حزم ، 319/4.

3 أنظر : الرسائل الصغرى ، نشر الأب بولس اليسوعى ، المشرق ، السنة الواحدة والخمسون ، كانون الثانى – شباط 1957م ، ص52.

سابعا : أننا فى كتابنا ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى تابعنا الأستاذ الكنانى فيما ذهب إليه من أن الشذرات التى نشرها هى من كتاب السياسة لابن حزم ، ومن ثم كنا فى حاجة لأن نبين وجه الصواب فى هذا الموضوع لا سيما وأننا استدركنا على أنفسنا هذا الخطأ الذى وقعنا فيه . بعد أن أمعنا النظر فى النصوص بعض الشيء ، وأدانا تفكيرنا إلى أن هذه الشذرات المنشورة من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم ، وليست من كتاب السياسة له .

لقد شغلنا أنفسنا منذ ما يربو على عشر سنين ببعض المصنفات الخاصة بالجوانب السياسية والإدارية بالدولة الإسلامية عندما قمنا بنشر وتحقيق كتاب حدائق الياسمين فى قوانين الملوك والسلاطين لابن كنان الصالحى ، وأفردنا للكتاب دراسة مستفيضة عن النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية، ثم شاركنا بقوة فى هذا الجانب عندما خصصنا جزءً كبيراً من الفصل الثانى بكتابنا " ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى " عن جهود ابن حزم السياسية عمليا ونظريا([1])، وكذا فعلنا نفس الأمر فى كتابنا " الظاهرية والمالكية وأثرهما فى المغرب والأندلس فى عهد الموحدين "([2])عندما تناولنا مشروع ابن حزم السياسى وأظهرنا تأثر الموحدين به وتطبيقه فعليا فى عهد المنصور الموحدى كما سيتضح فى هذه الدراسة.

هذا وقد قسمنا الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

تناول الفصل الأول وعنوانه حياة ابن حزم وجهوده السياسية ؛ المباحث التالية :

المبحث الأول : أوضاع الأندلس السياسية وأثرها على فكر ابن حزم :

المبحث الثانى : أصل ابن حزم و نشأته :

المبحث الثالث : تكوين ابنُ حزم العلميومصادر فكره:

المبحث الرابع : القيمة العلمية لمصنفات ابن حزم:

المبحث الخامس : ابن حزم وجهوده السياسة:

1طبع بدار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م .

2طبع بدار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014م.

وجاء الفصل الثانى تحت عنوان : المصنفات فى السياسة قبل وبعد كتاب ابن حزم ليعالج مبحثين هما :

المبحث الأول : السياسة لغة واصطلاحا :

المبحث الثانى : المصنفات فى السياسة قبل كتاب ابن حزم

المبحث الثالث : المصنفات فى السياسة بعد كتاب ابن حزم

وانتظم الفصل الثالث وعنوانه : أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى الحضارة الإسلامية " ؛ عدة مباحث هى :

المبحث الأول : الخطط السياسية والدينية والإدارية فى الأندلس :

المبحث الثانى : اعتماد بعض الحكام والدول لما فى الكتاب عمليا .

المبحث الثالث : المصنفات التى نقلت عن الكتاب وتأثر أصحابها به .

واشتمل الفصل الرابع وعنوانه : نصوص سياسية من كتاب الإمامة والسياسة وغيره لابن حزم " ؛ على مبحثين هما :

المبحث الأول : نصوص من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم

المبحث الثانى : نصوص سياسية لابن حزم من غير كتاب الإمامة والسياسة.

وأخيرا أرجو أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن ابن حزم الظاهرى من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة الحضارية خاصة.

والله من وراء القصد

دكتور

عبدالباقى السيد عبدالهادى